ظاهرة الوحي إشكالية تباين المراتب الوجودية بين الوحي والموحى اليه

المدرس الدكتور نهضة صاحب هاشم
الجامعة الإسلامية - كلية العلوم الإسلامية -النجف الأشرف
Nahda.alsharifi@gmail.com

The Phenomenon of Divine Revelation Problematic Issue of the Disparity of Existential Statuses between the Revelation and its Receptor

Dr. Nahda Sahib Hashim
The Islamic University -- College of Islamic Sciences
Nahda.alsharifi@gmail.com

الملخّص :

الوحي في اللغة هو نوع من الارتباط الخفي السريع بين طرفين احدهما مؤثر والآخر متأثر، وقد يتم عبر المشافهة أو الكتابة او الإشارة ، أما اصطلاحا فمن تعريفاته أن يعلِمَ الله تعالى من اصطفاه من البشر كل ما أراد اطلاعه عليه من الهداية والعلم، بطريقة سرية خفية .

ويفترق الوحي عن معنى الإلهام والكشف ، فالإلهام قد يحصل من الله تعالى بغير واسطة المَلَك، أما الوحي فيحصل بواسطته ، وهو مشروط بالتبليغ دون الالهام .

ومن أقسام الوحي الإلهي، وحي النبوة والرسالة، الوحي الأمري، الوحي بالإشارة، والوحي التقديري، أما صور الوحي فهي، القاء المعنى في قلب النبي بصورة مباشرة ، أو يخلق الله تعالى الكلام فيسمعه النبي من وراء حجاب من دون توسط رسول ، أو أن يرسل تعالى ملكا الى رسوله يبلغه رسالات ربه .

الكلمات المفتاحية : القرآن الكريم – تباين المراتب – الوحي – الموحى إليه – النبي – المراتب الوجودية – الإلهام – الكشف.

Abstract:

Revelation, on the lexical level, is a sort of hidden transient bond between two parties; one of which is acting and the other is acted upon. It may be performed either verbally, in writing or gesturing. The word as a term is prominently known as the transmission of the required knowledge and guidance to the chosen one by Allah (SWT) in an invisible way .

The Revelation differs from the inspiration and disclosure. The inspiration may occur in the absence of the Angel, whereas the Angel is a requisite for the Revelation, and it is contingent on the conveyance of a message rather than the inspiration .

Categories of the divine Revelation can be summed up as: one designated to the prophet hood and Message, the commanding Revelation, gesturing Revelation and predestined Revelation. As for its mechanism, it basically happens by instilling a direct message into the heart of the prophet, or alternatively Allah (SWT) devices a sound which can be heard through a veil with no mediation of an angel, or that Allah (SWT) sends to his messenger an angel who conveys to him the Lord's message .

Key words:Holy Quran – Disparity of Statuses – Divine Revelation – Receptor of Revelation – the Prophet - Existential Statuses – Inspiration – Disclosure.

الوحي مفهومه وحدوده

الوحي في اللغة :

تسالمت العرب منذ القدم في معنى الوحي على أنه نوع من الارتباط الخفي السريع بين طرفين احدهما مؤثر والآخر متأثر، وقد يتم عبر المشافهة أو الكتابة او الإشارة، وهذا المعنى يجاري ما تناقلته المعاجم ، فـ(الوحي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته الى غيرك)[١] فهو وحي كيفما كان ، ثم غلب استعمال مصطلح الوحي فيما يلقى الى الأنبياء من قِبل الله تعالى[٢].

الوحي اذن هو إعلام سريع خفيّ، سواء أكان بإيماءة أم بهمسة أم بكتابة في سرّ، وكلّ ما ألقيته إلى غيرك في سرعة خاطفة حتى فَهِمه فهو وحيٌ . فإن أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمّن السرعة قالوا : أمرٌ وحِيٌّ ، بمعنى سريع، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرّد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة[٣] .

والوحي يدلّ على إلقاء علم في إخفاء أو غيره، والوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب والرسالة، وكلّ ما ألقيتَه إلى غيرك حتّى عَلِمَه فهو وحي[٤] .

وهو على وزن فعيل كسريع . يقال : موت وحي . وفي حديث أبي بكر : الوحا الوحا أي السرعة السرعة ، يمد ويقصر . يقال : توحيت توحيا إذا أسرعت ، واستوحيناهم أي استصرخناهم، واستوح لنا بني فلان ما خبرهم أي استخبرهم ، وتوحى بالشيء : أسرع . وشيء وحي : عجل مسرع . واستوحى الشيء : حركه ودعاه ليرسله ، وقال بعضهم : الإيحاء البكاء . يقال : فلان يوحي أباه أي يبكيه . والنائحة توحي الميت : تنوح عليه[٥] .

وعلق ابن الأنباري على قول قائلهم "أنا مُؤْمِنٌ بوَحْيِ الله" قال: (سمي وَحْياً لأَنَّ الملك أَسَرّه على الخلق وخَصّ به النبيّ ﷺ المبعوثَ إِليه، قال تعالى ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [٦] معناه يُسِرُّ بعضُهم إِلى بعض، فهذا أَصل الحرف ثم قُصِرَ الوَحْيُ للإِلهام ، ويكون للأَمر ، ويكون للإِشارة)[٧] .

وقيل ان الإيحاء مصدر "أوحى" و"أوحى الى" وكأنه يلقي تلميحا الى شيء قريب الحدوث، ويمكن ان يقال انه تأثير في تفكير الشخص وسلوكه من دون استعمال اساليب الاقناع[٨] .

الوحي في الاصطلاح :

أما مصطلح الوحي فقد عرّفه الشيخ الطوسي بأنّه: (البيان الذي ليس بإيضاح، نحو الإشارة والدلالة، لأنّ كلام المَلَك كان له على هذا الوجه)[٩] ، وذكر في موضع آخر بأنّ: (الإيحاء إلقاء المعنى في النفس على وجه يخفى، وهو ما يجيء به من دون أن يرى ذلك غيره من الخلق)[١٠].

وعرفه الزرقاني: (أن يعُلِمَ الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر)[١١] .

وممن عرّف الوحي ايضا محمد عبده في قوله: (انه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه)[١٢] ، وفي موضع آخر بيّن الوحي في الشرع بأنه (عرفان يجده الشخص مع نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت)[١٣] .

وقيل ان الوحي في الشرع يطلق ويراد به اما المصدر أو المعنى الحاصل بالمصدر أو الموحى به ، ويأتي تعريفه للأول بأنه (إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه اليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة)[١٤] ، ويعرّف بالمعنى الحاصل بالمصدر بأنه (عرفان يجده الشخص مع نفسه مع اليقين بأنه من عند الله سواء أكان الوحي بواسطة أو بغير واسطة)[١٥] ، أما من جهة الموحى به فيعرّف بأنه (ما أنزله الله على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم، ومنهم من أعطاه كتابا ومنهم من لم يعطه)[١٦] .

وقال ابن نبي : (يجب أن يأخذ الوحي معنى المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير، وأيضا غير قابل للتفكير، لكي يكون متفقا مع اعتقاد النبي، ومع التعاليم القرآنية)[١٧]

ولعلّ ما ذكره العلامة الطباطبائي في تعريفه للوحي يعدّ التحديد الأدقّ ، فعنده ان مصطلح الوحي هو (إلقاء المعنى بنحو يخفى على غير من قصد إفهامه)[١٨] ، إذ يشمل هذا التحديد كلّ أنحاء الوحي، فيدخل فيه الوحي المباشر، والوحي غير المباشر .

الوحي والإلهام والكشف :

اتجه بعضهم في شرح ظاهرة الوحي الى خلط جملة مفاهيم من نحو: الإلهام، والكشف، والحدس الباطني، والشعور الداخلي أو اللاشعور ، فذهب بعض علماء الدراسات الإسلامية الى ان مصطلح "وحي" (انما يعبر عنه بالكلمات "المكاشفة أو الوحي النفسي أو الإلهام" ، لكن هذه الكلمة الأخيرة ليس لها اي مدلول نفسي محدد مع انها مستخدمة عموما لكي ترد معنى الوحي الى ميدان علم النفس)[١٩] .

وفي مقارنة بين الوحي وبين الإلهام ذهب الشيخ محمد عبده الى تشبيه الأخير بإحساس الإنسان بالجوع والعطش، وفرق بينه وبين الوحي (بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور)[٢٠] ، الا ان ابن نبي اعترض على تعريف الشيخ ووسم مدلوله بالتناقض ، فـ(النبي لا يدري بصفة موضوعية كيف جاءته المعرفة وهو يجدها في نفسه مع تيقنه بأنها من عند الله، ان في ذلك تناقضا واضحا يخلع على ظاهرة الوحي كل خصائص المكاشفة)[٢١] .

والكشف أو المكاشفة كالإلهام من الفاظ علم النفس المحدثة الموغلة في الإبهام لاحتلالها منطقة اللاشعور، (فإذا قيل في إنسان انه من أولي الكشف والإلهام لم يسمُ به ذلك الى درجة النبوة والوحي لأن في كل وحي وعيا وفي كل نبوة شعورا بمعناها وإدراكا لمغزاها وإنما يرمى باللاوعي من فقد الوعي ويوصم باللاشعور من حرم الشعور)[٢٢]، وإذا كان الوحي يحتل مجال (المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير، وأيضا غير قابل للتفكير)[٢٣] ، فإن الإلهام والمكاشفة مجالها (معرفة مباشرة لموضوع قابل للتفكير أو خاض فيه التفكير فعلا)[٢٤] وهو يخلق بونا كبيرا بين الاصطلاحين .

إن القرآن الكريم لم يستعمل لفظ "الإلهام" بالمعنى المألوف على الإطلاق، ولم يعدّه من المصادر العامة للمعرفة ، أما وحي الأنبياء فهو مصدر معرفي مباشر للنبي ذاته بل يعد مصدرا معرفيا حتى بالنسبة لغير الأنبياء ولكنه غير مباشر، وإذن (فالاعتماد على معطيات الوحي بالنسبة لكل المؤمنين إيمانا حاسما باتصال الرسل بالسماء والوحي يعد من المقتضيات الواجبة للعمل بقوانين المعرفة ، وليس تخطيا لهذه القوانين)[٢٥] فكلام

النبي الصادق يعلو على ما نكتسبه من معرفة بواسطة الحس والاستنتاج ؛ لأن الحس قد يخطأ والاستنتاج كذلك اما الوحي فلا سبيل للخطأ اليه[٢٦] .

وفي قاموس الكتاب المقدس ورد تعريف للوحي مختلف عن التعريفات المتسالم عليها ، إذ يرى ان (الوحي يراد به الإلهام وعلى ذلك يقال ان كل الكتاب هو موحى به من الله ، والوحي بهذا المعنى هو حلول روح الله في روح الكتّاب الملهمين)[٢٧] وتجود قريحة هؤلاء الكتّاب الملهمين بطريقين[٢٨] :

- إفادتهم بحقائق روحية أو حوادث غيبية لا يستطيعون التوصل اليها الا به .
- إرشادهم الى تأليف حوادث معروفة أو حقائق مقررة وذكرها شفاها أو تدوينها كتابة بحيث يعصمون من الوقوع الخطأ أو الزلل .

وذكر انهم مسددون بروح القدس،(فيقال: تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس، وهنا لا يفقد المتكلم أو الكاتب شيئا من شخصيته وإنما يؤثر فيه الروح الإلهي بحيث يستعمل ما عنده من القوى والصفات وفق إرشاده تعالى)[٢٩] .

ان الوحي في هذا التعريف أبعد ما يكون عن البعد الديني المتصل بالله والمؤيد به، وأقرب ما يكون الى مدلول الإلهام والكشف الذي عرفت البشرية منه أبعادا نقية عذبة لدى الشعراء الملهمين والمتصوفين العارفين ، وأبعادا ظلمانية كدرة لدى الكهان والعرافين الدجالين[٣٠] .

ومن اهم ما يميز الكشف والمكاشفة عن الوحي قضية الشك واليقين، ففي الرؤية العقلية (لا تنتج المكاشفة عند صاحبها يقينا كاملا بل كأنما تخلق نصف يقين...ما يسمى احتمالا، والاحتمال معرفة يأتي برهانها بعدها، وهذه الدرجة من الشك هي التي تميز المكاشفة من الوحي من الناحية النفسية)[٣١] ، والكشف في الغالب يكون ثمرة من ثمار الجهد والرياضات الروحية والتأمل الهادئ الطويل ، لذا فهو يظل أمرا شخصيا ذاتيا ولا يتلقى اية معارف وحقائق من مصدر أعلى[٣٢] .

وذكر القيصري أربعة فروق أساسية بين الالهام والوحي ، هي[٣٣] :

١. ان الالهام قد يحصل من الله تعالى بغير واسطة الملك، أما الوحي فيحصل بواسطته؛ لذلك لا تسمى الأحاديث القدسية بالوحي والقرآن وان كانت كلام الله .

٢. ان الوحي يحصل بشهود الملك وسماع كلامه فهو من الكشف الشهودي المتضمن للكشف المعنوي، لكن الالهام يحصل من المعنوي فقط .
٣. ان الوحي من خواص النبوة لتعلقه بالظاهر والالهام من خواص الولاية.
٤. الوحي مشروط بالتبليغ دون الالهام.

ان طبيعة الأخبار الغيبية في ظاهرة الوحي لا تخضع لهذه الأساليب اللاشعورية التي (تستشف حجاب المجهول بالفراسة الذكية الخفية والحدس الباطني السريع مثلما تأبى الخضوع لمقاييس الحس الظاهرة التي تخترق حرمات المجهول بالأدلة المنطقية والاستنباط المتروي البطيء وإنما تخضع لتصور حوار علوي بين ذاتين: ذات متكلمة آمرة معطية ، وذات مخاطبة مأمورة متلقية)[٣٤] .

دلالة الوحي في القرآن الكريم

ورد لفظ "الوحي" بصيغه الصرفية المتنوعة في ثمان وسبعين موضعا من القرآن الكريم[٣٥] ، ولم يبتعد المعنى القرآني عن المعنى اللغوي الأصلي حين أطلق على هذا الضرب من الإعلام الخفي السريع تسمية "الوحي"، فقد ورد تعبير القران بالوحي عن نوع علاقة خفية قائمة بين الله ومخلوقاته بعامة ، وبين الملائكة والبشر، وبين الشياطين فيما بينهم، وبين الشيطان والإنسان، وبين الإنسان والإنسان .

أقسام الوحي :

ذكر المفسرون أن (الوحي في كلام العرب على وجوه منها وحي النبوة ومنها الإلهام ومنها الإشارة ومنها الكتاب ومنها الإسرار)[٣٦] ، وهو تقسيم مستنبط من دلالات الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ بصيغه المتنوعة .

ومن كلام لأمير المؤمنين علي عليه السلام ذكر فيه هذه الأقسام بحسب ورودها في الآيات الكريمة ، وأضاف إليها أقساما أخرى، نوردها على نحو الإيجاز مع ذكر شواهدها من القرآن الكريم[٣٧] :

- وحي النبوة والرسالة : وذلك في قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾[٣٨] .

- الوحي الإلهامي : ويأتي بالإدراك الغريزي، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (٣٩) ، أو بالإدراك الفطري والإلقاء في القلب نحو قوله تعالى﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (٤٠)
- الوحي بالإشارة : في قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (٤١) ، أي أشار الى قومه من دون أن يتكلم .
- الوحي التقديري : أي تقدير الخلق بالسنن والقوانين والأنظمة التكوينية، مثل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (٤٢).
- الوحي الأمري : في قوله تعالى﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (٤٣) .
- الوحي الكاذب : أو الإلقاءات الشيطانية من شياطين الإنس والجن ، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (٤٤) .
- الوحي الإخباري : اي اخباره عن الأنبياء في قوله تعالى﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ (٤٥).

ووضع العلّامة جوادي آملي أقساما للوحي ناظرا إليها من لحاظ آخر، يمكن إجمالها بما يأتي((٤٦)) :

١. إسناد الوحي تارة الى حق وصدق وخير، وإلى باطل وكذب وشرّ، والوحي الباطل من قبيل قوله تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ ((٤٧)) .

٢. الوحي العلمي والعملي، فالإنسان إما ان يتلقى العلم أولا ثم يتبعه العمل، أو يتلقى العزم على العمل فيتبعه العلم الذي يوجه ذلك العمل، والوحي العملي من قبيل قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾((٤٨))

٣. الوحي التكويني والوحي التشريعي، والأول من قبيل قوله تعالى﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾((٤٩)) ، أما الوحي التشريعي فهو الإرادة التشريعية في الخفاء المتعلقة بفعل الإنسان المريد .

ويستدل قرآنيا على ما تحمله دلالة الوحي من البعد التخصيصي للجهة الموحى اليها ، إذ يطلق الوحي على كل شيء يقصد به إفهام المخاطب سراً والتخصيص له به دون سواه ، فالوحي الى أم موسى كان رؤيا أو كلاما سمعته في منامها على الاختصاص ، والوحي الى النحل يريد به الإلهام الخفي الخاص بمن أفرده به دون سواه فكان علمه تعالى حاصلا للنحل بغير كلام(٥٠) .

وإيحاء زكريا عليه السلام الى قومه يعني الإشارة اليهم من غير إفصاح الكلام ، وشبّه ذلك بالوحي لخفائه عمن سوى المخاطبين ولاختصاصه بهم عمن سواهم ، أما الوحي من الشياطين فإنهم يوحون الى أوليائهم بما يلقون عليهم من الكلام في أسماعهم فيخصونهم بعلمهم دون من سواهم(٥١) .

صور الوحي الإلهي :

ذكر القرآن الكريم ثلاث صور لتكليم الله الرسل وكيفية الاتصال بهم وذلك بدلالة قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (٥٢) ، فصّل فيها المفسرون، ومنهم صاحب تفسير الكاشف، نجملها بما يأتي(٥٣):

الأولى: القاء المعنى في قلب النبي بصورة مباشرة من دون واسطة وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ إِلّا وَحْياً ﴾ .

الثانية: ان يخلق الله الكلام كما يخلق الكائنات فيسمعه النبي من وراء حجاب دون توسط رسول من الله، أي ان النبي يسمع الكلام ولا يرى المتكلم، وهذا هو المراد بقوله تعالى﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[٥٤] .

الثالثة: أن يرسل سبحانه وتعالى ملكا الى رسوله يبلغه رسالات ربه .

وعلّق المفسر الشيرازي على هذه الصور بأن هبوط الوحي على الرسل متمثّل في أربع تمثلات للوحي على ما يتبيّن في القرآن الكريم[٥٥] :

- صورة ملك يراه الرسول .
- أو سماع صوت الوحي دون رؤيته .
- أو يأتي في صورة الهام قلبي .
- أو في صورة رؤيا صادقة .

وثمة خصائص ومميزات لوحي الأنبياء عموما، منها[٥٦] :

أولا: ان الوحي هو في أعلى درجات الوضوح والصراحة بالنسبة للأنبياء ، فلا يشوبه أي التباس أو غموض .

ثانيا: يحمل الوحي رسالة ومضمون للأنبياء أنفسهم ولعوام الناس .

ثالثا: يصاحب الوحي جملة من الآيات والمؤشرات الدالة على صدق النبي .

نظريات العلماء حول مسألة تباين المراتب الوجودية بين الوحي والموحى اليه

المقصود بالوحي الملَك "جبريل" حامل الرسالة الإلهية، الوسيط بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وهو من الوجودات النورانية اللطيفة التي تختلف عن الخلقة المادية الكثيفة، أما الموحى إليه فهو الإنسان النبي محمد(ص) المتلقي للرسالة الإلهية ومبلغها للبشرية، وهو المالك لخصائص المادة البشرية، والتي وصفها الله تعالى بالحمأ المسنون ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾[٥٧]، ووصفها أيضا بالطين اللازب﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾[٥٨] .

ومهما ترقّى الإنسان في عالم المادة لا يمكنه التحول الى الإنموذج النوراني؛ لأنه متقوّم ببُعدين: روحاني وجسماني، أحدهما يكمّل الآخر، أو يستعين بالآخر، نعم يمكن للبعد الروحاني أن يترقّى إلى مستوى الملائكة وأكثر، كما هي درجة الأنبياء عليهم السلام، مع الاحتفاظ بالبعد الجسماني المادي الكثيف ، إذ لا يمكنهم التخلي عنه ، بل ليس لهم ذلك الخيار .

إذن ، فما هو ذلك الجسر الموصل بين العالَم النوراني المتمثل بالرسول الملَك ، وبين العالم المادي المتمثل بالرسول البشر ؟ كيف تتعامل الوجودات اللطيفة مع الوجودات الكثيفة ؟ كيف يمكن ذوبان البرزخ الحائل بينهما للوصول الى لحظة الإلتقاء وإيصال الرسالة الإلهية ؟ سنحاول تقصي الإجابة عن هذه التساؤلات بتقصي نظريات العلماء عبر هذه المطالب :

الإدراك القلبي :

قال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[٥٩] ، كيف تلقّى النبي ﷺ الوحي في قلبه ؟ ما دلالة هذه العبارة ؟ هل تعني تعطيل الجوارح وتفعيل الجوانح ؟ أم أن كلا البعدين يسيران معا ويتفاعلان سوية ؟

في توجيه لهذه الآيات الكريمة ذكر العلّامة جعفر سبحاني أن الذي يتلقى الوحي من الروح الأمين هو نفس النبي الشريفة بدلالة عبارة "على قلبك"، من دون مشاركة الحواس الظاهرة التي هي الآليات المستعملة في إدراك الأمور الجزئية ، بمعنى ان النبي يسمع ويرى حينما يوحى اليه دون ان يستعمل حاستي السمع والبصر[٦٠] ، لأن الوحي ليس منتميا الى عالم المادة وإنما هو حصيلة الاتصال بعالم الغيب ولا يصح تطبيق أدوات المعرفة الحسية عليه ولا الأصول المادية التي تسلح بها العلم الحديث .

وكذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٦١] ، والتنزيل في هذه الآية يكشف عن أن جبريل عليه السلام كان يأتي بالوحي على قلب الرسول مباشرة .

وورد عن الفخر الرازي تأويل للآية الكريمة في قوله : (أكثر الأمة على انه أنزل القرآن عليه لا على قلبه إلا انه خص القلب بالذكر لأجل أن الذي نزل به ثبت في قلبه

حفظا حتى أداه الى أمته فلما كان سبب تمكنه من الأداء ثباته في قلبه حفظا جاز أن يقال نزّله على قلبك وإن كان في الحقيقة نزله عليه لا على قلبه)[٦٢] ، على أنه فصّل في موضع آخر بأن عبارة ﴿ عَلى قَلْبِكَ﴾ تحتمل تأويلين: (الأول... ليؤكد به أن ذلك المُنزَل محفوظ للرسول متمكن في قلبه لا يجوز عليه التغيير فيوثق بالإنذار الواقع منه الذي بيّن الله تعالى انه هو المقصود ، الثاني ان القلب هو المخاطب في الحقيقة لأنه موضع التمييز والاختبار، وأما سائر الأعضاء فمسخرة له)[٦٣] .

وهذا التأويل الذي ذكره الفخر الرازي لا يبدو ضروريا أو اضطراريا (بل يمكن القول بأن اتصال جبرئيل عليه السلام بالرسول كان يتم بطريقين: جسماني وروحي)[٦٤] ، بدليل الرواية التي سنذكرها لاحقا، التي صرّح فيها النبي صلى الله عليه وآله بأنه أحيانا كان يأتيه الملك مثل صلصلة الجرس وأحيانا يتمثل له رجلا، فهذا التقسيم للجسمانية والروحانية بتقرير النبي ذاته .

وثمة من يعتقد ان النبي صلى الله عليه وآله كان يتفاعل بجوارحه الحسية حين يتلقى الوحي ، لأنّ بعض الروايات تشير الى ان جبرئيل كان يأتي للرسول صلى الله عليه وآله على هيئة انسان احياناً ويقوم بإبلاغه الوحي الالهي ، ففي الرواية لما سئل النبي صلى الله عليه وآله عن كيفية تلقيه الوحي قال: ((أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول))[٦٥] ، قال ابن خلدون (وإنما كانت الأولى أشد لأنها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى الفعل، فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه)[٦٦] .

من الواضح ان ابن خلدون لا يرى بأسا في استعمال النبي(ص) لحواسه الظاهرية عند تلقيه الوحي، لاسيما استدراكه بأنه بعد تكرار الوحي وتلقّي آيات الله تعالى، آنئذٍ يكون الاتصال ميسورا ويصبح بالإمكان الاستفادة من الحواس بأجمعها، وذلك في قوله: (وعندما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال، فعندما يعرج الى المدارك البشرية يأتي على جميعها وخصوصا الأوضح منها، وهو إدراك البصر)[٦٧] ، فهنا نجد ابن خلدون يتغاضى عن مسألة تباين المراتب الوجودية بينهما، وما يتبعها من ملابسات تعسر على الفهم .

إمكان وقوع الوحي :

ورد في رسالة التوحيد في مقام الاستدلال على إمكان وساطة الملائكة بالبشر المصطفين من الله تعالى، بأن (وجود بعض الأرواح العالية ـ وهم الملائكة المكرمون ـ وظهورها لأهل تلك المرتبة السامية فمما لا استحالة بعدما عرفنا من أنفسنا وأرشدنا اليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود على ما هو ألطف من المادة وإن غيّب عنا، فأي مانع من أن يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقا لشيء من العلم الإلهي)[٦٨] ، ومن المعلوم أن أيّ شيء ينتمي إلى ما فوق المادة يدعوه العلم الحديث بـ "الطاقة" ، وفي اصطلاح علماء الدين يدعى الوجود "اللطيف" غير الخاضع للحواس ، في مقابل الوجود "الكثيف" المتمثل بالمادة التي نتعامل معها بالحواس الظاهرة .

وإذا كان الوحي من الممكنات العقلية بحسب ما فهمنا من رسالة التوحيد، فما هي آلياته وأساليبه ، ومن هم شخوصه ؟

لو تأملنا طرفي الاتصال الأساسيين في عملية الوحي، نجدها تتكون من "الله جل جلاله/الرسول البشر" ، والاتصال يتم من خلال "الإلقاء" ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[٦٩] ، وقد يعبر عنه بـ "التنزيل" ﴿...فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ...﴾[٧٠]، والأسلوب السياقي المستعمل في الاتصال يتبلور في "القول" أو "الكلام" ، وصورة الاتصال تتم عبر وسيط بين المرسِل والمرسَل اليه هو المَلَك جبريل عليه السلام وهو من الملائكة المكرمين، ومن الأرواح العالية .

وثمة طرف أخير لأجله تتمحور عملية الاتصال ذات التركيب الغيبي المعقد بين السماء والأرض، إذ (يوجد هناك فاعلان...اثنان في الساحة: الأول هو النبي الذي وجّه اليه الأمر، والثاني هو الإنسان الذي يمثل الهدف النهائي والمخاطب الأخير الذي وجهت اليه المبادرات او الأوامر والوصايا المعبر عنها في القرآن)[٧١] ، وكلاهما في الواقع إنسان، إلا أن استعداداتهما وقابلياتهما متباينة، فالإنسان النبي صلى الله عليه وآله ، الذي هو المرسَل اليه، واستعداده للتلقي عن الله تعالى بوساطة المَلَك أمر لا ريب فيه ؛ لأن الأنبياء جميعا (لهم من سمو فطرتهم وصفاء أرواحهم وإعداد الله سبحانه لهم اعدادا خاصا جسمانيا وروحيا ما يؤهلهم لتلقي الوحي من الله او الملائكة والفهم منهم

والتجاوب معهم)[٧٢] ، ومن هنا أمكن الله تعالى الملَك أن يقوم بهذه الوساطة على الرغم من تباين المراتب .

لكن الإنسان العادي الذي يتمثل في كلّ من علماء الأمة وعوام الناس، يكون أمره بيّنا، فلأجله أرسلت الرسل وأنزلت الرسالات، ولأجله تمحورت عملية الاتصال الغيبي بين الملَك الوسيط والنبي المرسَل إليه .

أما المرسِل سبحانه وتعالى فقد (قام على وجوده وكماله الدلائل العقلية وتواترت عليه الأدلة الآفاقية والأنفسية والتنزيلية، وأما الملائكة فقد أخبر بهم الأنبياء... واستفاض القرآن والسنة بالإخبار عنهم بما لا يدع مجالا للشك في وجودهم)[٧٣] .

الاصطفاء الإلهي والتباين في المراتب الوجودية :

كيف يمكن لفئة من الناس دون غيرهم ان يبلغوا مرتبة النبوة وتترقى الى امكان تلقي الوحي؟ ما الذي يميزها عن الاخرين؟ ما الذي يؤهلها لهذه المنزلة؟ يرى الشيخ محمد عبده ان هذا التفاوت بين البشر مما شهدت به البديهة ؛ لأن (درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها بعضا، وان الأدنى منها لا يدرك ما عليه الأعلى...وان ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم فقط، بل لابد معه من التفاوت في الفِطر التي لا مدخل فيها لاختيار الإنسان وكسبه...ولا تزال المراتب ترتقي في ذلك الى ما لا يحصره العدد)[٧٤]، فخص الله تعالى فئة من الناس وميزها عن غيرها بحكم استعدادها الفطري، فإن (من النفوس البشرية ما يكون لها من نقاء الجوهر...ما تستعد به من محض الفيض الإلهي لأن تتصل بالأفق الأعلى، وتنتهي من الإنسانية الى الذروة العليا وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرها الى تعقله أو تحسسه)[٧٥] .

ونجد ابن خلدون يحلل طبيعة النفس البشرية بلحاظ استعداداتها النفسانية والروحانية فيصنفها على أصناف ثلاثة: صنف عاجز بطبيعة تكوينه عن الوصول الى البعد الروحاني وهم الأعم الأغلب بين البشر واليه تنتهي مدارك العلماء، وصنف متوجه بالحركة الفكرية نحو العقل الروحاني، وهي مدارك العلماء الأولياء أهل العلوم الدينية والمعارف الربانية[٧٦] .

أما الصنف الثالث - وهم الأنبياء - فقد اجتهد فيه ابن خلدون وقدّم فرضيته اللامعة للإجابة عن إشكالية : كيف أمكن هذا الاتصال بين الوحي الإلهي وبين النبي البشر مع وجود التباين في مراتب الوجود ؟

وفي الواقع إن هذا السؤال قديم متجدد، تناوله بالبحث العلماء قديما، وأسهب ابن خلدون في شرحه جوابا له، ورسم تصورا دقيقا للحظة التي ينسجم فيها الأفق الوجودي للنبي مع الأفق الوجودي للملك على الرغم من تباين المراتب، وذلك لكون هؤلاء الأنبياء (صنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانيتها وروحانيتها الى الملائكة من الأفق الأعلى، ليصير في لمحة من اللمحات ملَكا بالفعل، ويحصل له شهود الملأ الأعلى في أفقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الإلهي في تلك اللمحة)[٧٧]، ثم يعود الى بشريته وقد تلقى في عالم الملائكة ما كُلّف بتبليغه الى أبناء جنسه من البشر .

وفصّل في الجزء الثاني من مقدمته بالقول إن هذا الصنف من البشرية (تعتريهم حالة إلهية خارجة عن منازع البشر وأحوالهم، فتغلب الوجهة الربانية فيهم على البشرية...فتجدهم متنزهين عن الأحوال البشرية إلا في الضرورات منها ، مقبلين على الأحوال الربانية من العبادة والذكر لله بما تقتضي معرفتهم به، مخبرين عنه بما يوحي إليهم في تلك الحالة من هداية الأمة على طريقة واحدة وسنن معهود منهم لا يتبدل فيهم كأنه جبلّة فطرهم الله عليها)[٧٨] . هذا هو معنى الوحي وخطاب الملائكة، وقد فطر الأنبياء جميعا عليه .

وافترض الزركشي وقوع تحول في أحد طرفي عملية الاتصال ليكون الطريق ممهدا للاتصال بالطرف الآخر (أحدهما ان رسول الله ﷺ انخلع من صورته البشرية الى صورة الملائكة وأخذه من جبريل ، والثاني ان الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذ الرسول منه)[٧٩] ، وميز ابن خلدون بين هذين الحالين من التحول، وفصّل القول في كيفية تلقي الأنبياء من الوحي الإلهي (فتارة يسمع أحدهم دويا وكأنه رمز من الكلام يأخذ منه المعنى الذي ألقي اليه فلا ينقضي الدوي إلا وقد وعاه وفهمه، وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي اليه الوحي رجلا فيكلمه ويعي ما يقوله)[٨٠] ، وفسر ذلك الإلقاء والتلقي تفسيرا صبّه في بوتقة اللازمن أو اللاشعور بالزمن، فإن زمن (التلقي من الملك والرجوع الى المدارك البشرية وفهمه ما ألقي عليه كأنه في لحظة واحدة بل أقرب من لمح

البصر لأنه ليس في زمان بل كلها تقع جميعا فيظهر كأنها سريعة ولذلك سميت وحيا لأن الوحي في اللغة الإسراع)[٨١] .

فكيف كان الاتصال بين الله تعالى والملك جبريل عليه السلام ؟ وأي شفرة استعملت في هذا الاتصال؟ قال الزركشي (الله أفهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال من المكان، وعلمه قراءته، ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان)[٨٢] .

وهنا ينبثق سؤال أساسي طرح من قبل ومازال مقلقا ويطرح بقوة ، وتباينت الإجابة عليه: ما الذي نزل به جبريل من القرآن؟ هل هو اللفظ ام المعنى ام كلاهما ؟

في معرض الاجابة عليه ذكر الزركشي عن السمرقندي اقوال ثلاثة: (أحدها انه اللفظ والمعنى وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به...والثانى أنه إنما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمعاني خاصة وأنه صلى الله عليه وآله وسلم علّم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب، والثالث أن جبريل عليه السلام إنما ألقي عليه المعنى وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية ثم أنه أنزل به كذلك بعد ذلك)[٨٣] .

فهل كان القرآن محفوظا لفظا ومعنى في اللوح المحفوظ ؟ إن قول الزركشي يفضي الى تصور وجود خطي أزلي للقرآن باللوح المحفوظ وباللغة العربية حصرا فأهل السماء يقرؤونه بالعربية على حد تعبيره ، قال : (ان أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف وإن تحت كل حرف معان لا يحيط بها الا الله عز وجل)[٨٤] .

ومن المفكرين المعاصرين الذين كتبوا في الوحي نصر حامد أبو زيد ، إذ اعترض على هذا التصور للوجود الأزلي للقرآن الكريم ، ووجده يفضي الى نتيجتين، الأولى: المبالغة في قداسة النص القرآني وتحويله من كونه نصا لغويا دالا قابلا للفهم الى نص تصويري، والأخرى: الإيمان بعمق دلالته وتعدد مستوياتها، فأدى ربط تعدد مستويات الدلالة بالأصل الإلهي والوجود الأزلي للنص الى استغلاق معنى النص نتيجة استحالة النفاذ الى مستويات معانيه في نهاية الأمر[٨٥] .

وفي معرض الرد على أبي زيد لنا ان نتساءل : من اين تأتي قداسة القرآن ؟ والإجابة هي حتما من انتمائه الى مصدريته الغيبية ، ومن هنا فمن المنطقي والطبيعي أن يكتسب القرآن الكريم قدسيته وقوته وجماليته من الله تعالى ولا يمكن أن يُنسب اليه الخطأ أو النقص ، ولا مبالغة في قداسته، إذ ليس للقداسة مراتب أو درجات، ثم هل في

قداسة القرآن ضير ؟ هل تشكل عائقا عن فهمه ؟ هل تخلق أزمة استغلاق معنى النص على البشرية - بحسب تعبيره - ؟ أم ان الإنسان بطبيعته قاصر عن فهم القرآن حق فهمه، لمحدودية فكره واستيعابه ونقص قدراته .

وإذا كان القرآن منتميا الى الكمال المطلق والقدرة المطلقة فهو إذن معين لا ينضب فلا تفنى عجائبه ولا تنتهي غرائبه ولا تنفد مستويات معانيه ودلالاته بل تتجدد بحسب متطلبات كل عصر ومصر ، وبالتالي لا موجب لهاتين النتيجتين اللتين توصل اليهما أبو زيد .

تدرّج الوحي من الرؤيا الى اليقظة :

إن الوحي ، في رؤية معاصرة ، مغاير تماما عمّا عهدناه في التفسير الإسلامي ، إذ تصور هذا الاتصال بأنه نابع من حركية ذهن النبي الذي يقوم بترجمة المعطى الموحى الى لغة عبر المرحلة الزمنية الأولى وهي "مرحلة الرؤيا" وتليها بعد الاعتياد على الوحي "مرحلة اليقظة" فنجد أبا زيد يدلي بآرائه بأسلوب استفهامي: (هل يمكن ان نقول إذن ان المرحلة الأولى من مراحل الوحي كانت مرحلة أشبه بالرؤيا حيث تتلقى نفس النبي...من الملَك رسالة ذات شفرة خاصة يحولها النبي بعد ذلك الى رسالة لغوية)[٨٦]، وحين يألف النبي حالة التلقّي وينكشف عنه الوجل بالتدريج ، يتجاوز عالم الرؤيا والرمز والشفرة وينتقل الى عالم اليقظة ، إذن(هل يمكن ان نقول ان التعود والألفة مع توالي عملية الاتصال جعلت الوحي ممكنا في حالة اليقظة بالكلام اللغوي العادي؟)[٨٧] تميل هذه القراءة الى تأييد الفرضية إذ (تتضافر الحقائق لتجيب بالإيجاب عن هذا السؤال)[٨٨] .

ومن الحقائق المعول عليها لتعضيد هذه القراءة ما ورد عن ام المؤمنين عائشة: ((كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلوا بغار حراء...))[٨٩] .

وهذه الفرضية ليست بجديدة ، فإن مسألة اعتياد النبي على الوحي قد طُرحت من قبل ، فقد ذكر ابن خلدون ان حالة الوحي كلها صعوبة وشدة وثقل ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[٩٠] لأن الوحي يتم بمفارقة النفس البشرية الى المدارك الملكية فيحدث شدة من مفارقة الذات ذاتها ، (وقد يفضي الاعتياد بالتدريج فيه شيئا فشيئا الى بعض

السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كانت تنزّل نجوم القرآن وسوره وآيه حين كان بمكة أقصر منها وهو بالمدينة)[٩١]، وهذا التحليل قائم على ما ورد من روايات تصف حال النبي(ص) حين فاجأه الوحي أول مرة، وما اعتراه من خوف وشدة اذ لم يتجاوب مع الوحي بادئ ذي بدء "ما أنا بقارئ" ، وشكه في ان يكون هذا وحيا حقا او من القاء الشيطان فطمأنته زوجته خديجة ، الى آخر الرواية المعروفة[٩٢] ، وكأن علم السيدة خديجة سلام الله عليها أغزر من علم النبي المصطفى والمختار من الله تعالى، وقلبها أكثر اطمئنانا وأربط جأشا !! ثم كيف يحتاج النبي المتصل بعالم الغيب المسدد بقوة السماء الى الكاهن النصراني ورقة بن نوفل ؟ وهل يمكننا الثقة بوحي كهذا !!؟

نعم ، لا ريب أن ملاقاة المَلك ومواجهته أمرٌ كان يحتاج إلى استعداد خاصّ، وما لم يكن النبي محمد ﷺ يمتلك روحاً عظيمة، ونفسية قوية لم يكن قادراً قط على تحمّل ثقل النبوة، وملاقاة ذلك الملك العظيم .

ويمكن القول باطمئنان بأن جملة من العلماء المسلمين متفقون على أن الوحي الذي خصّ الله تعالى به أنبياءه إنما هو إدراك خاص مباين لسائر الإدراكات، و(ليس نتاج الحس ولا العقل ولا الغريزة، وإنما هو شعور خاص لا نعرف حقيقته، يوجده الله سبحانه وتعالى في الأنبياء. وهو شعور يغاير الشعور الفكري المشترك بين أفراد الإنسان عامة، لا يغلط معه النبي في إدراكه، ولا يشتبه، ولا يختلجه شك ولا يعترضه ريب في أن الذي يوحي إليه هو الله سبحانه، من غير أن يحتاج الى إعمال نظر)[٩٣]

إذن، فالنبي ﷺ لم يفاجأ بالوحي أيا كانت طبيعة اللقاء، بل كان مؤهلا لهذا اليوم - يوم بعثه نبيا - وممهّدا له الطريق لذلك بعناية من الله تعالى ولم يعتوره أدنى ريب بأن هذا الوحي هو من الله تعالى، قال صاحب الميزان (وهذا حال النبي والرسول في أول ما يوحى إليه بالنبوة والرسالة لم يختلجه شك ولا اعترضه ريب في ان الذي يوحي اليه هو الله سبحانه من غير أن يحتاج الى إعمال نظر أو التماس دليل أو إقامة حجة ولو افتقر الى شيء من ذلك كان اكتسابا بواسطة القوة النظرية لا تلقيا من الغيب من غير توسط واسطة)[٩٤] .

هوامش البحث

(١) المعجم الصافي في اللغة العربية ، صالح العلي الصالح – امينة الشيخ سليمان الأحمد : ٧٣٧

(٢) ظ معجم المصطلحات الاسلامية في المصباح المنير ، رجب عبد الجواد ابراهيم : ٢٩٧

(٣) ظ المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني : ٨٥٨

(٤) معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس : ٦/ ٩٣

(٥) لسان العرب : ١٥/ ١٧٣

(٦) سورة الأنعام : ١١٢

(٧) لسان العرب – مادة وحى : ١٥/ ١٧٢

(٨) ظ معجم اللغة العربية المعاصرة ، احمد مختار عمر : ١/ ٢٤١٥

(٩) التبيان في تفسير القرآن ، محمد بن الحسن الطوسي : ٤/ ١٤٢

(١٠) م . ن : ٥/ ٤٤٣

(١١) مناهل العرفان ، عبد العظيم الزرقاني : ١/ ٦٣

(١٢) رسالة التوحيد ، محمد عبده : ١٠٩

(١٣) م . ن : ١٠٩

(١٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمد محمد أبو شهبة : ٨٤

(١٥) م . ن : ٨٤

(١٦) م . ن : ٨٤

(١٧) الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي : ١٤٤

(١٨) الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ١٢/ ٤٩٢

(١٩) الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي : ١٤٣

(٢٠) رسالة التوحيد ، محمد عبده : ١٠٩

(٢١) الظاهرة القرآنية : ١٤٦

(٢٢) مباحث في علوم القران ، صبحي الصالح : ٢٧

(٢٣) الظاهرة القرآنية : ١٤٤

(٢٤) م . ن : ١٤٤

(٢٥) العقلانية والمعنوية ، مصطفى ملكيان : ٨٢
(٢٦) ظ م . ن : ٨٢
(٢٧) قاموس الكتاب المقدس ، الدكتور جورج بوست : ٢/ ٤٧٢
(٢٨) ظ م . ن : ٢/ ٤٧٢
(٢٩) م . ن : ٢/ ٤٧٢
(٣٠) ظ مباحث في علوم القران ، صبحي الصالح : ٢٥
(٣١) الظاهرة القرآنية : ١٤٤
(٣٢) مباحث في علوم القرآن : ٢٦
(٣٣) شرح فصوص الحكم لمحي الدين ابن عربي ، تأليف الشيخ داود بن محمود القيصري (مخطوطة) : ٣١
(٣٤) مباحث في علوم القرآن : ٣٤
(٣٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي : ٧٤٦
(٣٦) ظ التبيان، الطوسي : ٦/ ٣٩٨ ، مجمع البيان، الطبرسي : ٦/ ١٥٦ ، نور الثقلين ، الحويزي : ٤/ ١٥١ ، الميزان ، الطباطبائي : ١٤/ ١٢ ، تفسير القمي : ٢/ ٢٧٩
(٣٧) ظ نفحات القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي : ٧/ ٢٧٠
(٣٨) سورة النساء : ١٦٣
(٣٩) سورة النحل : ٦٨
(٤٠) سورة القصص : ٧
(٤١) سورة مريم : ١١
(٤٢) سورة فصلت : ١١- ١٢
(٤٣) سورة المائدة : ١١١
(٤٤) سورة الأنعام : ١١٢
(٤٥) سورة الأنبياء : ٧٣
(٤٦) ظ الوحي والنبوة ، عبد الله جوادي آملي : ١٤٥
(٤٧) سورة الأنعام : ١١٢
(٤٨) سورة القصص : ٧

(٤٩) سورة النحل ٦٨
(٥٠) ظ تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد – الشيخ المفيد : ٩٩
(٥١) ظ م . ن : ١٠٠
(٥٢) سورة الشورى : ٥١
(٥٣) ظ تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية : ٦/ ٥٣٤
(٥٤) سورة النساء : ١٦٤
(٥٥) ظ نفحات القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي : ١/ ١٧٣
(٥٦) ظ العقلانية والمعنوية ، مصطفى ملكيان : ٨٢
(٥٧) سورة الحجر : ٢٨
(٥٨) سورة الصافات : ١١
(٥٩) سورة الشعراء : ١٩٣ ـ ١٩٥
(٦٠) ظ الإلهيات ، جعفر سبحاني : ٣/ ١٢٩
(٦١) سورة البقرة : ٩٧
(٦٢) مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي : ٣/ ٢١٢
(٦٣) م . ن : ٢٤/ ١٦٥
(٦٤) نفحات القرآن : ١/ ١٧٠
(٦٥) بحار الأنوار ، المجلسي : ١٨/ ٢٦٠
(٦٦) مقدمة ابن خلدون : ١/ ٢١٠
(٦٧) م . ن :١/ ٢١٠
(٦٨) رسالة التوحيد ، محمد عبده : ١١٢
(٦٩) سورة المزمل : ٥
(٧٠) سورة البقرة : ٩٧
(٧١) القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني ، محمد اركون : ٣١
(٧٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم ، أبو شهبة : ٨٨
(٧٣) م . ن : ٨٧
(٧٤) رسالة التوحيد ، محمد عبده : ١١١

(٧٥) م . ن : ١١٢
(٧٦) ظ مقدمة ابن خلدون : ١/ ٢٠٩
(٧٧) م . ن : ١/ ٢٠٩
(٧٨) ظ م . ن : ٢/ ١٦٣
(٧٩) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ١/ ٢٢٩
(٨٠) مقدمة ابن خلدون : ١/ ٢٠٩
(٨١) م . ن : ١/ ٢٠٩
(٨٢) البرهان في علوم القرآن : ١/ ٢٢٩
(٨٣) م . ن : ١/ ٢٢٩
(٨٤) م . ن : ١/ ٢٢٩
(٨٥) ظ مفهوم النص ، نصر حامد أبو زيد : ٤٩
(٨٦) م . ن : ٥٧
(٨٧) م . ن : ٥٧
(٨٨) م . ن : ٥٧
(٨٩) ظ مختصر صحيح مسلم : ١/ ٢٤- ٢٥
(٩٠) سورة المزمل : ٥
(٩١) مقدمة ابن خلدون : ١/ ٢١١
(٩٢) مختصر صحيح مسلم : ١/ ٢٤
(٩٣) الإلهيات ، جعفر سبحاني : ١٢٨ – ١٢٩
(٩٤) الميزان : ١٤/ ١٣٧

قائمة المصادر والمراجع

(١) التبيان في تفسير القرآن ، محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق: احمد قصير العاملي ، ط:١ ايران ، مكتب الإعلام الإسلامي ، ١٤٠٩هـ
(٢) تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، أو شرح عقائد الصدوق ، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٢ه) ، تعليق: هبة الدين الشهرستاني ، منشورات الرضا – قم ، ١٣٦٣ه

(٣) تفسير القمي ، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي ، من أعلام القرن الثالث الهجري ، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي – قم ، ط١ – ١٤٣٥ه
(٤) رسالة التوحيد ، الشيخ محمد عبده ، تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا ، تصدير عاطف العراقي
(٥) شرح فصوص الحكم لمحي الدين ابن عربي ، المسمّى بـ "مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم ، تأليف الشيخ داود بن محمود القيصري (مخطوطة) ، جمع: ميرزا محمد شيرازي – ١٣٠٠ه
(٦) الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، دار الفكر – دمشق ، ط٤ – ١٩٨٧م
(٧) العقلانية والمعنوية ، مصطفى ملكيان ، ترجمة: عبد الجبار الرفاعي – حيدر نجف ، مركز دراسات فلسفة الدين – بغداد ، ط١ ، ١٤٣١ه – ٢٠١٠م
(٨) قاموس الكتاب المقدس ، الدكتور جورج بوست ، طبع في المطبعة الأمريكية ، بيروت سنة ، ١٩٠١م
(٩) لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت: ٧١١هـ) ، ط ١ ، دار صادر – بيروت - لبنان
(١٠) مباحث في علوم القران ، صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط١٠ – ١٩٧٧م – بيروت
(١١) مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر ، ط١ – ١٤٢٦ه – ٢٠٠٥م ، بيروت - لبنان
(١٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم ، الدكتور محمد محمد أبو شهبة ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، ط :٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، السعودية - الرياض
(١٣) المعجم الصافي في اللغة العربية ، صالح العلي الصالح – امينة الشيخ سليمان الأحمد ، ١٤٠١ هـ / الرياض : ٧٣٧
(١٤) معجم اللغة العربية المعاصرة ، احمد مختار عمر، عالم الكتب /القاهرة، ط١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م
(١٥) معجم المصطلحات الاسلامية في المصباح المنير ، رجب عبد الجواد ابراهيم ، ط ١ ،١٤٢٣ – ٢٠٠٢ القاهرة
(١٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٣ – ١٣٨٤ه

(١٧) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م
(١٨) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، التحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز
(١٩) مناهل العرفان ، محمد عبد العظيم الزرقاني، تصحيح: أمين سليم الكردي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢
(٢٠) الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الامام المنتظر، ايران – قم ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
(٢١) نفحات القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي ، ط٢ – ١٤٢١ه ، دار النشر للإمام علي بن أبي طالب(ع) ، إيران - قم
(٢٢) نور الثقلين ، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ، صححه وعلق عليه: السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع قم - إيران
(٢٣) الوحي والنبوة ، عبد الله جوادي آملي ، دار الإسراء – إيران – قم ، ط١ – ١٤٢٨ه